

أثر المؤسسات الاجتماعية في تنمية التعدد اللغوي عند الطفل

The impact of social institutions on the development of multilingualism in children

بن مسعود قدور^{*1}¹ جامعة ابن خلدون - تيارت (الجزائر)، abousoheib1438@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022-05-15 تاريخ القبول: 2022-09-05 تاريخ النشر: 2022-12-27

ملخص البحث

تحاول المؤسسات الاجتماعية في خضم تطوير سبل الكلام والتواصل أن تؤصل هوية الماضي بالحاضر، وذلك عن طريق التأسيس المستقبلي عامل تربية وتوجيه الطفل لمنهج منظم، يحميهم من التيارات الخارجية والهجينة وغير الشرعية فيضبط لسانه وترشيد ملكته اللغوية، وتتخلص الحماية في توظيف المنشآت المتطورة والكفاءات المتخصصة قصد توفير قدر كاف من المعايير يمكن صياغتها فيشكل دلائل علمية تعين كل باحث حسب تخصصه للمشاركة في تحصين الطفل من اللهجات الدخيلة والمستعصية، مقابل ذلك تحضير معجم يخول له الاستعمال الصحيح والسليم للألفاظ.

كلمات مفتاحية: المؤسسات، الطفل، اللهجات، الفصحى، العامية.

Abstract:

Essayer d'institutions sociales au milieu de développer des moyens d'expression et de communication qui relie passé l'identité du présent, par l'incorporation préalable de l'éducation des travailleurs et de diriger l'enfant à une approche systématique, protégée contre les hybrides étrangers et des courants illégaux pour contrôler sa langue et de rationaliser la reine linguistique et résumée la protection dans l'emploi des équipements de pointe et des compétences spécialisées afin de la fourniture de normes adéquates peut être formulée sous forme de preuves scientifiques de chaque chercheur nommé par la spécialisation de participer à l'enfant des dialectes de vaccination exotiques et incurables, par

^{*} المؤلف المرسل: بن مسعود قدور

rapport à la préparation d'un glossaire qui lui donne droit l'utilisation juste et bon de mots.

Keywords: Institutions; children; dialects; classical; colloquial;.

1. مقدمة:

تسعى الكثير من المؤسسات داخل المجتمع بمختلف مناهجها ووسائلها، لرصد بعض المواهب وانتشال بعض المهارات التي تكتسبها الفئات الصغيرة من البراعم والأطفال عبر التعبير بلسان فصيح قد لا نسمعه حتى عند من أتى بسطة في الجسم من الراشدين والبالغين، إن أبشع المعلومات التي تقف حجر عثرة معالم ظاهرة وصحيحة تنحدر فيها لغة الطفل السليمة، هي وسيلة التخاطب بالعامية التي أتت على الأخضر واليابس، ولم يسلم منها أي طفل في مجتمعنا، إن الخطر الذي يهدد لغة الطفل هي اللغة العامية عدوة الفصحى، إنها معضلة، أرقّت ولا زالت تؤرق المربين والمعلمين وكثير منهم حملهم ترقية المستوى اللغوي عند للطفل "وهذه المشكلة تجعل القاموس اللغوي للطفل بما يتعلمه في اللغة العربية إذا قيس بما يعرفه من الألفاظ العامية في استعمالاته العامية... وهذا بدوره يشكل صعوبة جديدة أمام كاتب الأطفال"¹.

2. مؤسسة الأسرة والمحيط العائلي

عادة ما ينصهر الطفل داخل عادات وأعراف الأسرة التي يرتع داخل كنفها الضيق، وتطبع في وجدانه كثير من القصص والأمثال والحكم قد تجود أحيانا وتسوء أحيانا أخرى، لكن كل هذه الروافد والبقايا المزدهمة في ثنايا فكر الطفل تتحكم فيها فوضى اللغة الأسرية التي حملت وثلث بمصطلحات هجينة ورعينة، ولن يتاح للطفل بصيص في الأمل في اختيار لغة سليمة فصيحة، إذ إن "الطفل يبدأ حديثه محاكيا غيره في لغتهم والدليل على ذلك أن الطفل يتحدث لغة أسرته التي نشأ فيها وقلدها في بدء حياته، وتعتبر هذه المرحلة التي يتعلم فيها الطفل من أشد المراحل العمرية للإنسان لأن بصمات الأسرة والمدرسة والبيئة تضل راسخة في ذاكرته"².

إن كل الأطفال ينشئون في مجتمع واحد، لا يمكن أن تتساوى مداركهم بالرغم من توحيد الكثير من العلاقات الاجتماعية قبل القوانين والعادات والإدارة والتعليم في مجتمع واحد، لأن العائلة هي التي تصنع الفوارق بين أطفال، بحكم أن "العمل العائلي يلعب دورا في جوانب أخرى في النمو، فهناك عائلات المسي والكلام والنظافة فيها مبكرة بشكل مميز بينما يكون شديد التأخر عند سواها"³، يلاحظ على الأسر بشكل فطري ودائم استعجالهم على ظهور بواذر الكلام عند الطفل، فتلك ميزة حميدة تنبئ - حسب نظرهم - سيحفل بذكاء صائب وسليم، "فاللغة تلعب دورا ضمن هذه المهمة وظيفة إدراكية أي وظيفة تحليل، تركيب وتجريد وتنمية للذاكرة والتفكير المنطقي"⁴، لقد قر في أنفسنا أن اللغة تصنع في الخارج والمحيط، لذلك "يتأثر تطور اللغة في الواقع بالخصائص المميزة للغة الجماعية"⁵.

تحدو ثلة من الساهرين على سلامة لغة الطفل، رغبة في صد والوقوف أمام طائفة من التيارات، كانت في تفكير صفو اللغة الفصيحة، هذه التيارات قد أراها انشطرت بين أعيان الأسرة وغالبا ما تملئها الأجداد وكبار السن، الذين ورثوا ألفاظا فرضتها عليهم قسوة الحياة من (استعمار، الأعمال الشاقة الحالات الاجتماعية من فقر ومرض وسفر هجرة...)، ومع الزمن انقرضت الظواهر وبقيت مسمياتها تنقل للأطفال دون سابق إنذار ولا معرفة بما ذكر، ومع مرور الأيام ونمو الطفل في كنف هذه المؤسسة الصغيرة ألا وهي الأسرة، يبدأ أفرادها في تلقينه ألفاظا تعينه على التواصل مع الآخرين، "ورغم قبولنا بلغة الطفل الخاصة به من الأفضل أن يستخدم البالغ الكلمات الصحيحة عندما يتحدث إليه"⁶، داخل كثير من الطوائف العائلية في أفرادها جاهدين لتقليص الجهود على الطفل في نطق بعض الكلمات محرفين كثير من المصطلحات عن نطقها الأصلي إلى نطق ناقص وفي أمثلة ذلك:

1.2. مصطلحات الأكل والأطعمة:

الخبز ← بابة

الماء ← مبو

الطعام ← ميام

الحلويات ← فاقة.

2.2. مصطلحات متفرقة:

النار ← ففو

الداء ← ددو

الجلوس ← ششي

النوم ← نني

الوحش ← واوة

فتنصهر هذه الألفاظ في ذهن الطفل مع التكرار والمداومة، حتى تتحول لديه معجما من الكلمات يعتمدها في التعبير عما يجده أمامه في حياته اليومية سواء داخل أسرته أو خارجها، "في معظم اهتمامات الطفل اللغوي هو حريص جدا على أن يسأل عن الأسماء وأسماء الأشياء والأشخاص كما أنه شديد التنبه للكلمات الجديدة التي تقال في حضرته وسرعان ما يرووها وراء المتكلم"⁷، إن العينة التي اخترناها من الألفاظ التي تلقن للطفل في بداية مشواره الكلامي، تنحصر في منطقة غربية من الوطن ويمكنها أن تتنوع من منطقة لأخرى وهذا أمر شائع، وإذا تنقل الطفل إلى منطقة غربية عن موطنه الأصلي فقد يتعثر في التواصل مع آخر أنه، نظرا لتغير كثير من الألفاظ لم يعتمد سماعها وهي تحمل معاني يعلمها ويحمل مسمياتها في المنطقة المتنقل إليها وعلى سبيل المثال:

الجدول 1: اللهجات

الكلمة	وهران	العاصمة
نعم	واه	إيه

لا	لا	لا
الفلوس	الدراهم	المال
العجوز	الشيبانية	الأم

والقائمة طويلة ربما لا يمكن حصرها، فهاجس الصراع الذي نشأ فيه الطفل بسبب هذه اللهجات العامية، هزم وقتل مشروع اللغة الفصحى وتلقينها للطفل إن إثراء المعجم اللغوي للطفل ينبغي أن نردف معه أساليب الفهم والوعي إذ إن "اللفظة الجديدة تعني اكتشافا جديدا للطفل، وتزيل الغموض عن جانب من جوانب حياته، وتجعله أقدر على الفهم والتعبير، وليست اللفظة وحدها التي نريد، وإنما هناك أساليب الصياغة، وصحة النطق ومعرفة قواعد النحو بطريقة عفوية من البداية، فيتعود على ذلك دون ذكر للقواعد"⁸.

لكن الأمر الذي يحذو بنا إلى الفشل والتشاؤم الملحوظ على كثير من الجهات المتصدية لجيوش اللغة العامية، هو مدى قدرة أفراد الأسرة على توفير حظيرة اللغة الفصحى للطفل وبأي وسيلة يتماشى المشروع الحضاري مع الوضع الراهن الذي فرض طريقته السلبية على أكبر شريحة من الأسر سواء كانت مثقفة أو غير مثقفة، لأن الطفل - بحكم التجربة - الذي سيلقن ويسعف بمعجم لغوي فصيح في ذهنه، سيصطدم دون أدنى شك مع الأطفال ورثوا تلك اللهجة وسرت في عروقهم، تلوكها ألسنتهم من مصطلح الفجر إلى غسق الليل، يحاول ذلك الطفل أن يفرض منطق، لكن بعد فترة يستسلم ولا يجد سبلا للتخاطب مع غيره إلا بلغة الأغلبية الساحقة.

3. مؤسسة الهيئات التربوية

يتقاسم تكوين الطفل وتربية هيئات كثيرة، من بين هذه الهيئات مؤسسات تربوية جندت نفسها للوقوف سدا منيعا للغة الفوضى والرعوننة، إنما المدرسة ودور الحضانة وروضات الأطفال، وهي بالضرورة شاركت بكل ما أوتيت من وسائل للتقليل من حجم تفاقم اللهجة العامية عند الطفل، لكنها راعت جانب الإبقاء على بعض المصطلحات التي يرى ظاهرها أنها عامية لكنها في

الأصل هي فصحي، والقصور الذي ينتاب هذا الموضوع بالدرجة الأولى على الكتاب الذين لا يكلفون أنفسهم بالبحث على المفردة السهلة، فإذا وجدت أهملت اعتقاداً أنها عامية "فلماذا نصر دائماً على استعمال كلمة (الرز) أيضاً عربية صحيحة؟ ولماذا نستعمل كلمة (الإوز) للطفل الصغير، في الوقت الذي نجد فيه كلمة (الوز) أيضاً عربية صحيحة؟ يقول مثل روماني "بدل أن تلعن الظلام أوقد الشمعة"⁹، إن معظم مدارسنا التربوية لها سبق والفضل في الحر في التيار الجارف للغة العامية التي يحملها الطفل من أسرته، وخلال السنوات الأولى التي يتعلم فيها الطفل، يبدأ في اكتساب الألفاظ الصحيحة للغة محاولاً نقلها إلى أفراد أسرته، ومن ثم يختلف التفاعل مع هذه المصطلحات الجديدة من أسرة لأخرى، فمنها من تزيد وتنمي ذلك، ومنها من تحاول رفض هذه اللغة الجديدة وتسعى لدفعها مجدداً، حتى يظل الطفل حبيس لهجة الانتماء والسيطرة، ويحدث شرح آخر قد لا يتناسب مع الغاية المنشودة نحو اللهجة العامية واستبدالها باللغة الفصحى، يتمثل ذلك في بعض المربين والمعلمين الذين يحاولون من جهة جلب الطفل إلى حظيرة العلم والقراءة والكتابة سالكين في ذلك أسلوب لهجة عامة في كثير من الأحيان، ومن جهة أخرى دون شعور يسهمون في استدامة داء اللهجة العامية عند الطفل وهذه تتكرر مع مرور السنين ويغفل عنها الكثير، وعلى العموم فإن وظيفة المدرسة تظل هي المؤسسة المنوط إليها تقليص العامية من ذهن الطفل (التلميذ)، وحشد معجمه باللغة الفصيحة التي بفضلها يمكنه أن يتعامل مع الوسائل العلمية التي تجبر توظيف اللغة الفصحى مثل القصص المكتوبة، والتعبير الكتابي أو الشفهي والمشاركة في المحافل الوطنية والدولية التي تقضي غالباً لغة الشارع والرعونة¹⁰.

بجانب المدرسة تتقاسم دور الحضانة ورياض الأطفال أدواراً مثالية من تهذيب لغة و"تسعى إلى تأهيل الطفل تأهيلاً سليماً للالتحاق بالمرحلة الابتدائية ومساعدته على اكتساب مهارات وخبرات جديدة"¹¹، ولن تسبق مهارة اللغة أي مهارة بالنسبة للطفل لأنها وسيلة لترقية فهم الطفل، بيد أنه إذا لم يسخر الفاعلون على دور الحضانة والروضات كل الجهود في محاربة اللغة العامية،

فما هي الفائدة في ترك الأطفال في أحضان أشخاص يجهلون الطفل ولا تربطه بهم سوى مآرب مادية، أوقعت تحية من الأطفال رهينة الألعاب والمسرح، ريثما تتكفل الأسرة بطفلها المودع فيتم استلامه بعد العصر أو قبله بقليل، بالرغم من التحذيرات المقدمة شأن اللهجة العامية، ونصب قنوات صنيعة تقي تعلق الطفل بها، إلا أن مداهمة هذه اللهجة ونفاذها في معجمه، قد يأتي من تعلقه الدائم والمفرط للأطفال الآخرين المحيطين به، وهؤلاء قد سلكوا مسبقا طريقة في الكلام لا تراعي هذا الجانب، ولا نعيب هذه البراعم البريئة، فهي جهاز استقبال تتلقى في هذه المرحلة كثيرا من الأساليب اللغوية ومن مختلف الشرائح، علما أن شركة الأطفال فيما بينهم يكون لها الأثر الكبير والعميق على نشر العامية وترسيخها وربما بشيء من المبالغة ترسيخهما في الخطاب اليومي.

4. خاتمة:

يبدو أن الهدف نبيل وأسمى كفكرة في الأذهان، لكن بالولوج إلى الميدان تجد أمامك ترسانة من العراقيل قد تثبط العزيمة وتنشد لك طريقا غير سليمة، وقد أدركنا بحسب التجارب التي حظينا بها، أن الطفل حباه الله بطبيعة نفسية ترغب في اكتساب مهارات لسانية لغوية، تختلف من طفل لآخر نظرا للملقن العارف، أو المربي الماهر، والمعلم الخبير.

إن رعونة الكلام التي سيطرت على الحياة العامة لأفراد المجتمع، نشرت وبسطت بدائها على كل الشرائح حتى النخب منها، فأنى للطفل البريء أن ينجو من هذه الجائحة التي فتكت باللغة السليمة الصحيحة، بيد أن أغلب الفئات والمنظمات والمؤسسات لم تستسلم لتهجين لغة الطفل، بل عكفت على تيسير السبل من أجل رصف معجم بديل للطفل، هذا المعجم إن لم يسخر ويوظف بشكل دائم على ألسنة الأطفال، فاللغة المكتوبة لا تحي إلا بلغة منطوقة، ولا نقصد باللغة المكتوبة إلا لغة فصيحة يستقيم بها لسان الطفل، لكي تتأصل في فكره وتنصهر في وجدانه، ومع مرور الوقت والزمن تتحول اللغة العامية عنده إلى لغة غريبة مستعصية.

5. الهوامش:

- ¹ نجيب أحمد، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، ص55.
- ² صبري خالد عثمان، القيم التربوية في شعر الأطفال، دار العلم والإيمان مصر، ط1، 2008، ص33.
- ³ ليونيل ريشان، التفتح النفسي والحركي عند الطفل، ترجمة جور جيت الحداد عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001، ص54.
- ⁴ المرجع السابق، ص49.
- ⁵ المرجع السابق، ص47.
- ⁶ المرجع السابق، ص47.
- ⁷ أبو معال عبد الفتاح، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتنقيفهم، دار الشروق، الأردن، ط1، 2005، ص117.
- ⁸ نجيب أحمد، المرجع السابق، ص48.
- ⁹ المرجع السابق، ص56.
- ¹⁰ قامت ثلاث دول بمشروع الرصيد اللغوي الوظيفي وهي (تونس، الجزائر، المغرب = سنة 1972 ويقصد بالرصيد اللغوي هو ضبط مجموعة من المفردات والتركيب العربية الفصيحة أو الجارية على قياس كلام العرب التي يحتاج إليها التلميذ في مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي.
- ¹¹ خلف أمل، مدخل إلى رياض الأطفال، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، 2005، ص15.

6. قائمة المراجع:

1. نجيب أحمد، د.ط، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة.
2. صبري خالد عثمان، 2008، القيم التربوية في شعر الأطفال، دار العلم والإيمان مصر، ط1.
3. ليونيل ريشان، 2001، التفتح النفسي والحركي عند الطفل، ترجمة جور جيت الحداد عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، ط1.
4. أبو معال عبد الفتاح، 2005، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتنقيفهم، دار الشروق، الأردن، ط1.
5. خلف أمل، 2005، مدخل إلى رياض الأطفال، عالم الكتب، القاهرة، د.ط.